

الحلقة الثامنة والعشرون

سفر أعمال الرسل

برنامج أنوار كاشفة

أهلاً ومرحباً بك صديقي المستمع في هذا اللقاء الجديد من برنامج أنوار كاشفة. نتابع اليوم دراستنا للأحداث المثيرة التي رافقت تأسيس الكنيسة المسيحية، وذلك من خلال كلمة الله المقدسة في سفر أعمال الرسل.

وكنا قد علمنا أن الكنيسة المسيحية بدأت بمعمودية التلاميذ من الروح القدس. وانضمام ثلاثة آلاف شخص إلى الكنيسة في يوم واحد. ثم تعرضت الكنيسة لإضطهاد عظيم واستشهد استفانوس، وتشتت المؤمنون. وبالرغم من ذلك فقد انتشرت المسيحية في مناطق عديدة وتأسست كنائس كثيرة. ونتيجة لرحلة الرسولين برنابا وبولس الأولى إلى قبرص وتركيا، آمن كثيرون بالمخلص المسيح، ولا سيما من الأمم غير اليهود.

ثم انطلق الرسول بولس مع سيلا في رحلتها التبشيرية الثانية، وفي لستره انضم إليهما تيموثاوس. ودخلوا مدينة فيليبي باليونان، حيث آمنت ليديا بائعة الأرجوان، وطرد الرسول بولس الروح الشرير من الخادمة العرّافة. لكن سادة هذه العرّافة غضبوا وأتوا بالرسول بولس وسيلا إلى الولاة، الذين أمروا بسجنهما وضبط أرجلها بالمقطرة.

وبينما بولس وسيلا يسبحان الله، حدث نحو منتصف الليل زلزال شديد وانفتحت أبواب السجن. وسقطت قيود المساجين، فظنّ حافظ السجن أنهم قد هربوا، واستلّ سيفه ليقتل نفسه. لكن الرسول بولس صاح بأعلى صوته: لا تمس نفسك بسوء فنحن جميعاً هنا. فطلب ضوءاً واندفع إلى الداخل وهو يرتجف خوفاً. ثم خرّ أي سجد لبولس وسيلا وهو مرتعد. وأخرجهما من السجن وقال لهما: " يا سيديّ ماذا ينبغي أن أفعل لكي أخلص؟ فقالا آمن بالرب يسوع المسيح فتخلص أنت وأهل بيتك. " (أعمال الرسل ١٦: ٣٠ و ٣١)

لقد علم ضابط السجن، أن الله إله هذا الكون وخالقه، هو الذي يقف مع الرسولين بولس وسيلا. وإلا فكيف به يفسّر حصول هذه الزلزلة العظيمة فجأة، وانفتاح أبواب السجن كلها، وانفكاك قيود السجناء جميعاً. لهذا لم يكن غريباً أن يبادر في تلك اللحظة، لسؤالهما عن أخطر وأهم موضوع يواجه الإنسان، ألا وهو موضوع خلاص نفسه. فكيف يخلص الإنسان من دينونة الخطية والهلاك الأبدي، وينال الغفران والخلود؟ وكان جواب الرسولين بولس وبرنابا عن سؤاله: أنه لكي تحصل على خلاص نفسك، عليك أن تؤمن بالرب يسوع المسيح. وعندها لا تخلص وحدك فحسب، بل يخلص معك أهل بيتك، أي عائلتك.

أجل مستمعي العزيز، إن المخلص الرب يسوع المسيح هو الوحيد القادر على وهب الخلاص لكل إنسان. فهو كلمة الله الأزلي الذي تنازل من السماء، وقدم نفسه كفارة على الصليب فداء لنا نحن البشر الخاطئة. ولكي نحصل على هذا الخلاص، على كل واحد منا أن يؤمن بهذا المخلص الفريد العجيب. فيهبه الله عندها الغفران عن ذنوبه، ويصبح من أولاد الله، ويتأكد من نواله الحياة الأبدية في دار النعيم. ونتيجة لحصول الإنسان على خلاص الله، يعمل الله بروحه القدس في قلوب أفراد عائلته، لكي ينالوا هم أيضا هبة الخلاص.

وهو الذي حصل بالضبط مع حافظ السجن وأفراد عائلته. إذ نجد أن الرسولين بولس وسيلا كلماء وجميع أفراد عائلته بكلمة الرب، أي شرحا لهم بشارة الخلاص. ثم أخذهما في تلك الساعة من الليل وغسلهما من الجروح، التي كانوا قد أصيبوا بها، نتيجة للضرب الشديد. وليس هذا فحسب، بل اعتمد بالماء هو وكل الذين له أجمعون. أي أعلن حافظ السجن وعائلته إيمانهم بالمخلص المسيح، وطلبوا معمودية الماء تأكيدا لإيمانهم هذا. ثم أصدع حافظ السجن الرسولين إلى بيته، حيث قدم لهما مائدة الطعام. وكان الفرخ يغمر كيانه مع جميع أفراد عائلته، بسبب إيمانهم بالمخلص المسيح. (راجع أعمال الرسل ١٦: ٢٥-٣٤)

لكن ماذا كان موقف الولاة الذين أمروا بالقبض على الرسولين؟ ففي صباح اليوم التالي، ارسل الولاة إلى حافظ السجن أمرا بالإفراج عن بولس وسيلا. فأخبر حافظ السجن الرسولين قائلاً لهما: أن الولاة قد أرسلوا أمرا بالإفراج عنكما، فاخرجا الآن واذهبا بسلام. لكن الرسول بولس احتج قائلاً: "ضربونا جهرا غير مقضي علينا ونحن رجلان رومانيان وألقونا في السجن. أفالآن يطردوننا سرا. كلا. بل ليأتوا هم أنفسهم ويخرجونا." (أعمال الرسل ١٦: ٣٧)

كان القانون الروماني يمنع جلد وسجن أي متهم روماني، قبل أن تثبت إدانته. ولهذا فإن الولاة الذين أمروا بضرب بولس وسيلا، قد خالفوا القانون لأن الرسولين كانا يحملان الجنسية الرومانية. فالرسولان كانا على حق عندما احتجا، وطلبا من الولاة أن يأتوا بأنفسهم ليقدموا الاعتذار لهما، ويخرجوهما من السجن. وعندما علم الولاة بكلام الرسولين خافوا لما علموا أنهما رومانيان. فجاجوا وتضرعوا إليهما معتذرين، وأطلقوهما من السجن، طالبين إليهما أن يغادرا المدينة. فخرج بولس وسيلا من السجن، وتوجها إلى بيت ليديا التي آمنت بالمسيح، حيث قابلا الإخوة وشجعاهم، ثم غادرا مدينة فيليبس. (راجع أعمال الرسل ١٦: ٣٥-٤٠)

تابع الرسولان بولس وسيلا رحلتها في اليونان، فوصلا إلى مدينة تسالونيكي، بعد أن مرّا بأمفيبوليس وأبولونية. وكانت مدينة تسالونيكي واحدة من أغنى مدن مقدونية، وأقواها وأكثرها نفوذا. وكان يوجد في تسالونيكي مجمعا لليهود. وكعادته ذهب الرسول بولس إلى المجمع، وناقش اليهود المجتمعين هناك مستندا على كتب العهد القديم، لمدة ثلاثة سبوت، أي كل يوم سبت، لمدة ثلاثة أسابيع. وكان يشرح لهم مبينا وموضحا، أنه كان لا بد أن يتألم المسيح ويقوم من بين الأموات. وأن المسيح الذي ينتظرونه، هو نفسه المسيح المخلص الذي يبشرهم به. فاقنتع بعض الحاضرين وانضموا إلى بولس وسيلا. وكان بينهم عدد كبير من اليونانيين المتعبدين لله، وكثيرات من النساء النبيلات، ذوي النفوذ في المجتمع. وهذا مما أثار حسد اليهود وغيظهم، من الذين لم يؤمنوا بالمخلص المسيح.

كان من المهم جدا أن يشرح الرسول بولس لهؤلاء اليهود، كيف تم المخلص المسيح وعود الله والنبوءات المتعلقة به في كتب العهد القديم. وأن المسيح المخلص قد أتى، وأكمل عمل الخلاص، وما عليهم سوى الإيمان به. لكن هؤلاء اليهود الذين لم يؤمنوا، اتصلوا ببعض الرجال الأشرار من أبناء الشارع، وجمعوا جمهورا كبيرا، وأخذوا يحرضون الناس ضد الرسولين بولس وسيلا، حتى أثاروا الفوضى في المدينة.

ثم هجموا على بيت ياسون وهو نسيب بولس، مطالبين بتسليمهما بولس وسيلا. ويبدو أن بولس وسيلا، كانا مقيمين عنده أثناء زيارتهما لتسالونيكي، وهذا مما أثار اليهود ضده. ولما لم يجدوا بولس وسيلا هناك، جروا ياسون وبعض الإخوة من المؤمنين، واقتادوهم إلى حكام المدينة واشتكوا عليهم صارخين: إن هذين الرجلين، اللذين قلبا الدنيا، قد جاءا إلى مدينتنا أيضا. وقد استضافهما ياسون. وهم جميعا يخالفون أوامر القيصر، وينادون بملك آخر اسمه يسوع المسيح. فأحدثوا انزعاجا لدى الجمع والحكام، عندما سمعوا هذا. فقبض الحكام كفالة من ياسون ومن الباقيين معه، ثم أفرجوا عنهم. (راجع أعمال الرسل ١٧: ١-٩)

لم يكن الحكام الرومان يهتمون بالخلافات العقائدية الدينية، بين اليهود من جهة وبولس وسيلا من جهة أخرى. ولهذا أثار اليهود الحكام، باتهامهم بولس وسيلا بالخيانة العظمى، لأنهم ينادون بملك آخر غير قيصر. إن مجرد إثارة هذه التهمة كانت تعني الكثير بالنسبة للحكام. وبما أن بولس وسيلا لم يقوموا بأي عصيان أو فتنة ضد القيصر، لهذا اكتفى الحكام بأخذ كفالة من ياسون ورفقائه، لكي يتعهدوا بوقف الشغب والإضطراب.

أما الرسولان بولس وسيلا وبعد الذي حصل، فقد أرسله الإخوة ليلا إلى مدينة بيرية، المجاورة لتسالونيكى. وستتابع صديقي المستمع رحلتها التبشيرية هذه، وما حصل معهما في اللقاءات القادمة إن شاء الله.